الباب الثاني

التعبير القرآني عن الانفعال

الفصل الأول: انفعال الخوف

الفصل الثاني: انفعال الغضب

الفصل الثالث: اللغة والتعبير القرآني عن الانفعال

التعبير القرآني عن الانفعال

تقديم:

إن دراسة التعبير القرآني عن الانفعال أو كيف عبر النص القرآني عن المواقف الانفعالية التي وردت فيه؟ يحتاج إلي بحوث ودراسات مستقلة نظرا لتعدد الآيات التي وردت فيها تلك الصور الانفعالية في القرآن؛ وكذلك كثرة طرق التعبير عنها وتنوعها فالقرآن الكريم كتاب الله إلي البشرية جمعاء، وهو نص مكتوب، الأصل فيه أن يُقْرأ ويتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ جمع بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة، وردت فيه عبارات تصور انفعالات كثيرة؛ يقوم القارئ المُجيد من خلال قراءته لها واستحضاره لمعانيها بنقل مشاعر وأحاسيس أصحاب تلك العبارات؛ فيحولها إلي نص منطوق، كأنه صادر الآن من هؤلاء القوم أصحاب تلك العبارات الانفعالية. وأحاول من خلال هذه الدراسة أن أحلل بعض تلك العبارات، وأبين ما تحمله من انفعالات؛ وكيف استطاعت اللغة بوسائلها المختلفة تصوير تلك الانفعالات علي اختلافها.مع الاستعانة بالدراسات النفسية والعصبية وما قدمته من وصف وتحليل وتفسير في مجال الانفعالات علي اختلافها.

المنهج في تحليل مفهوم الانفعال في القرآن الكريم:

أحاول تقديم تحليل جديد للانفعال في ضوء رؤية أوسع لمفهوم الانفعال، تستعين بتلك العلوم المختلفة، وتستهدي بجهود هؤلاء العلماء، فقمتُ بما يأتي:

١ـ التعريف بهذا الانفعال وخصائصه في ضوء علم النفس.وعلم الأعصاب.

٢ ـ دراسة وتحليل الآية التي ورد بها هذا الانفعال في الخطوات الآتية:

أ ـ مع المفسرين: نذكر إشاراتهم في تفسيرهم للجانب النفسي واللغوي للانفعال.

ب ـ تفسير الآية في ضوء علمي النفس والأعصاب، ومقابلته بقول المفسرين.

ج ـ اللغة: بيان دور اللغة في إبراز الصفات الدقيقة لهذا الانفعال كما وصفه علماء النفس وعلماء الأعصاب، ومدى مطابقة التعبير القرآني في وصفه لذلك.

أنواع الانفعال في القرآن:

ليس الانفعال مقصوراً علي الغضب كما يظن؛ بل إنه يشمل كل وجدان حاد كالخوف والفرح والحزن والأسف والندم والحقد والحسد والأمل والتفاؤل والتشاؤم، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه قلما تمر علي الإنسان لحظة دون أن يكون في حالة انفعال ظاهر أو مقهور، حاد أو ضعيف"[1] وقد "جاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف، والغضب والحب والفرح والكره والغيرة والحسد والندم والحياء والخزي"[2] كان الغرض من وجود هذه الانفعالات داخل كل إنسان أن تزوده هو والحيوان بانفعالات تعينهما علي البقاء علي قيد الحياة.

وقد صنف علماء النفس[3] الانفعالات التي وردت في القرآن إلي أصناف حسب:

١ـ شدة الانفعال.

٢ـ رد الفعل المنعكس للمنفعل.

٣ـ المظاهر البدنية المصاحبة للانفعال.

هذه الدراسة:

وسأتناول هنا أكبر وأهم انفعالين وردا في القرآن الكريم، وهما: الخوف والغضب، لتصبح هذه الدراسة قاصرة علي انفعال الخوف وانفعال الغضب؛ لأنهما أكثر الانفعالات ذكرا في القرآن، كما أن النص القرآني تعرض لمواقف تابعة لهما بالوصف والتحليل الدقيق، مما يستدعي دراسة دقيقة لمعرفة دقة التعبير القرآني، وقد جعلت الفصل الأول لدراسة انفعال الخوف؛ والفصل الثاني لدراسة انفعال الغضب، والفصل الثالث لبيان الخصائص اللغوية للتعبير عن الانفعالين في القرآن الكريم.

---

(١) علم النفس التربوي، ج/٣، ص ١٥٤.

(٢) القرآن وعلم النفس، ص ٧١.

(٣) راجع تصنيف الانفعال القرآني في: القرآن وعلم النفس، د.نجاتي والبناء النفسي في الإنسان، د. الفرماوي.

الفصل الأول
انفعال الخوف

هو من الانفعالات الأولية كما ذكر مكدوجل ؛ "وهو أيضا من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان لأنه يدفعنا إلي تجنب الأخطار التي تهدد حياتنا، مما يساعدنا علي الحياة والبقاء، ... ومن أهم فوائده أنه يدفع المؤمن إلي اتقاء عذاب الله في حياته الآخرة، فالخوف من الله يدفع المؤمن إلي تجنب الوقوع في المعاصي وإلي التمسك بالتقوى.. وانفعال الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله"[1]، وهو انفعال بسيط يصاحب بعض الدوافع ، مثل دافع العدوان أو دافع الأمن في الوقت الذي يلعب دور الدافعية الموجهة للسلوك" [2].

وقد صنفه د. عثمان نجاتي حسب شدته، وحسب التغيرات التي تصيب الإنسان في وظائفه الفسيولوجية: (ملامح الوجه . نبرات الصوت. هيئة البدن).وحسب رد الفعل المنعكس كالجري السريع والهرب وذكر أنواع الخوف: من (من الله. من الموت. من الفقر. من البطش...)، كذلك التغيرات البدنية التي تصاحب حالة الانفعال، التي تشمل تغيرات في: الوجه والقلوب والعقل والعين وهيئة البدن كله والشعر واليد" [3].

وقد صنفه د. الفرماوي إلى: مظاهر الخوف، وأنواع الخوف، وذكر الخوف كمحرك لدافع السلوك، وكذلك التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للخوف" [4].

وللخوف صور متعددة وردت في القرآن الكريم، جاء تصويرها من خلال عبارات لغوية دقيقة؛ حرص النص القرآني علي وصفه بدقة علي الرغم من تنوعه؛ باستخدام وسائل اللغة المتعددة؛ لتبين الاختلاف بين كل حالة انفعالية.

وقد ورد ذكر الخوف في القرآن الكريم علي صورتين فقط هما:

---

(١) القرآن وعلم النفس،٧١.
(٢) البناء النفسي في الإنسان (دراسة من فيض القرآن الكريم)، ص١٥١.
(٣) القرآن وعلم النفس، ٧١ ــ ٧٥.
(٤) البناء النفسي في الإنسان (دراسة من فيض القرآن الكريم)، ١٥١.

الصورة الأولي لانفعال الخوف في القرآن:

إن الصورة التي نقصدها هنا لانفعال الخوف في القرآن؛ ما جاءت من تصوير دقيق لانفعال الخوف لحظة حدوثه، فنجده يصف بدقة حالة الانفعال التي يعيشها الفرد بملامحها الداخلية والخارجية كأنها تحدث الآن، فنعيش لحظة ذلك الانفعال مع صاحبها.

الصورة الثانية لانفعال الخوف في القرآن:

لقد ورد في القرآن أخبار كثيرة عن حالة خوف لدي شخص ما (مؤمنا/ كافرا) دون وصف لها، لكنها علي الرغم من كثرتها لا تبين الجانب النفسي واللغوي للخوف؛.لذا جعلت دراستي هنا قاصرة علي الصورة الأولي للخوف، وسأحاول تقديم تحليل دقيق ودراسة متأنية للنموذج الذي يعرض لانفعال الخوف بالتفصيل في القرآن.

الصورة الثالثة: تصوير انفعال الخوف :

الجانب النفسي: ماذا يحدث للإنسان عندما يأتيه خوف مفاجئ؟ إنه عندما يفاجأ بشيء مخيف ظهر في وجهه بغتة وبصورة غير متوقعة؛ فإن جهازه العصبي يقوم بدفعه بعيدا عن الخطر دون تدخل منه، ويتمثل الجهاز العصبي في" أعصاب الجهاز السمبتاوي الذاتية الذي هو الحارس الأمين، والمدافع اليقظ الذي يتولي المسئولية في حالات الشدة والطوارئ الحقيقية، إذ يرسل المخ في تلك الظروف غير العادية بدفعات حركية إلي مختلف أعضاء الجسم عن طريقها، وحينئذ فهي تتحكم في حالات أربع رئيسية هي: حالات الجهد العنيف أو النشاط المضني، حالات استمرار الألم، حالة تهدد الجسم بالبرد القاسي، عند الخوف أو الغضب الناشئين عن توقع المرء أن يتعرض لواحد مما سبق، وهنا نري أهمية الغضب والخوف لكونهما مصدر الاستثارة الموحدة تشريحيا" [1] هذا الجزء من الجهاز العصبي متمثلا في العصب السمبتاوي لا يتلقى أوامره من الإنسان المنفعل أو المرتعد، ولكنه يعمل بطريقة تلقائية، حيث يصدر أوامره للأعضاء الجسم بالابتعاد فورا عن منطقة الأذى، ولهذا يكون رد فعل الشخص علي ذلك هو الجري سريعا دون تفكير منه أو مجرد النظر خلفه، لهذا سُمى بالانفعال الشديد.

(١) علم النفس ودراسة التوافق، ٢١٨.

لقد استطاع النص القرآني أن يصور بدقة بالغة حالة الفزع والهلع التي تصيب الفرد نتيجة الخوف الشديد؛ وما يحدث للخائف من تغيرات فسيولوجية وعصبية ولغوية أثناء لحظة خوفه الشديد، ورد الفعل من حركة بالمكان أو الهرب من المكان أو الذهول دون حركة تماما، وقد ورد ذكر وصف دقيق لكل هذه الحالات في مواقف متعددة في القرآن، نحاول تحليلها هنا..فقد قسمتُها علي أقسام هي:

التقسيم الأول: حسب الأشخاص الخائفين إلي: خوف الأنبياء،.خوف المؤمنين، خوف الكفار، خوف الناس عامة.

التقسيم الثاني: حسب سلوك الخائف إلي: سلوك ظاهر (من خلال تغيراته الجسدية الظاهرة)، وسلوك باطن (من خلال تغيرات داخلية لا تظهر عليه)، وقد أشار القرآن الكريم إلي الصنفين ووصفهما وصفا دقيقا؛ مما يدفع علماء النفس إلي الإقبال عليه، ليتعلموا منه الجديد الذي يفيدهم في عملهم، كالقدرة التخزينية للانفعال، حيث يستطيع المنفعل أن يخفي انفعاله أو يخزنه ويخرجه فيما بعد، بما يعرف عندنا بكظم الانفعال (غضب أو خوف) وقد مدح الله كاظم غضبه بقوله سبحانه ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [1].

التقسيم الثالث: حول صورة رد فعل المنفعل كسلوك ناتج عن الانفعال:

أ- حركي:كحركة الهرب من المكان أو حركة في المكان نفسه دون الهرب

ب - بلا حركة: يحدث نتيجة الفزع من هول الموقف؛ أن يصيبهم شلل تام، فلا يتحركون ولا ينطقون ولا يفكرون، وتنقطع صلتهم بمركز إدراكهم (المخ).

ثم جاء تحليلي للمواقف الانفعالية شاملاً القسيمات كلها، فتناول الموقف وأصنفه حسب التقسيم الأول، وأضعه أيضا ضمن القسم الذي ينتمي إليه في التقسيم الثاني والثالث، وأبدأ بهذا القسم من التقسيم الأول بهذا الموقف مع بيان موضعه بالنسبة للتقسيم الثاني والثالث.

---

(١) آل عمران، ١٣٤.

النوع الأول من انفعال الخوف: خوف الأنبياء:

١ـ خوف موسى من العصا:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي بالهروب من المكان:

ورد ذكر هذا الحدث في موضعين في القرآن متطابقين تماماً هما:

في سورة النمل قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[١].

في سورة القصص قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

مع المفسرين:

القرطبي:

قال: (ولىَّ مدبرا) خائفا على عادة البشر (ولم يعقب) أي لم يرجع[٢]. فوصف سلوك موسى حالة خوفه أنه خاف علي عادة كل البشر؛ لقد أدرك القرطبي أن ما فعله موسي في هذا الموقف الانفعالي تغلبت عليه طبيعته البشرية، كما قال علماء علم الأعصاب عن دور العصب السمبتاوي في الحفاظ علي الإنسان ودفعه بعيدا عن الخطر، كان هذا ما دفع موسي للهرب.

الشيخ الشعراوي:

قال الشيخ الشعراوي: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل: ١٠] فلمّا ألقى موسى عصاه وجدها ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠] يعني: حية تسعى وتتحرك، والعجيب أنها لم تتحول إلى شيء من جنسها، فالعصا عود من خشب، كان فرعًا في شجرة، فجنسه النبات ولما قُطعت وجفَّتْ صارت جمادًا، فلو عادت إلى النباتية يعني: إلى الجنس القريب منها واخضرتْ لكانت عجيبة. أمّا الحق تبارك وتعالى فقد نقلها إلى جنس آخر إلى الحيوانية، وهذه قفزة كبيرة تدعو إلى الدهشة بل والخوف، خاصة وهي ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾النمل: ١٠] أي: تتحرك حركة سريعة هنا وهناك. وطبيعي في نفسية موسى حين يرى العصا

---

(١) سورة النمل، ٢٧ /١٠.

(٢) تفسير القرطبي، مطبعة دار الريان للتراث، ج٧، ص٤٨٧٦.

التي في يده على هذه الصورة أنْ يخاف ويضطرب ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأعلى﴾ [طه: ٦٧- ٦٨] وحين تتتبع اللقطات المختلفة لهذه القصة تجدها مرة جان ومرة حية ومرة ثعبان، وهي كلها حالات للشيء الواحد، فالجان فَرْخ الثعبان، وله مِن خفة الحركة ما ليس للثعبان، والحية هي الثعبان الضخم، وقوله تعالى: [ولى مُدْبِرًا] [النمل: ١٠] يعني: انصرف عنها وأعطاها ظهره ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠] نقول: فلان يُعقِّب يعني: يدور على عَقِبه ويرجع، والمعنى أنه انصرف عنها ولم يرجع إليها؛ لذلك ناداه ربه سبحانه وتعالى: [يا موسى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المرسلون] [النمل: ١٠] وعلَّة عدم الخوف [لاَ تَخَفْ] [النمل: ١٠] ليعلمه أنه سيُضطر إلى معركة، فليكُنْ ثابتَ الجأْش لا يخاف لأنّه لا يحارب شخصًا بمفرده، إنما جمعًا من السَّحرة جُمِعوا من كل أنحاء البلاد[1].

تحليل عصبي ونفسي للحدث:

قبل أن نبدأ في دراسة انفعال الخوف الشديد عند موسى نسأل سؤالا ذكره القرطبي قبلنا؛ هو هل الأنبياء يخافون؟ قال" قد تقدم في طه وغيرها أن الأنبياء صلوات الله عليهم يخافون، ردا علي من قال غير ذلك، وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه؛ فقيل :أصبح خائفا من قتل النفس أن يؤخذ بها. وقيل خائفا من قومه أن يسلموه. وقيل خائفا من الله تعالى، (يترقب) قال سعيد بن جبير: يتلفت من الخوف"[2].

هذا القول يبين الطبيعة البشرية لأنبياء الله بأنهم يخافون كسائر البشر؛ وأن انفعال الخوف وما يترتب عليه من سلوك كرد فعل لهذا الخوف لم تعصم منه الأنبياء، فلا تعجب من قوله تعالى واصفا حال موسى عند خوفه من العصا (وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ) فلا يجوز أن تقول كيف وليَّ رسول الله موسى عندما رأي العصا تتحول إلي حية، بل يجب أن تقول إن انفعال الخوف سيطر عليه؛ فكان رد فعله - ككل إنسان وضِعَ في تلك الحالة الانفعالية نفسها - أن يجري ولا ينظر خلفه؛ وأن هذا لا يقلل من إيمانه بالله، بل إن ما بداخله من البناء العصبي المزود به كل إنسان جعله يفقد سيطرته علي أعضاء

(١) موقع نداء الإيمان بشبكة الانترنت.
(٢) تفسير القرطبي، ج٧، ص ٤٩٨٠.

جسمه؛ لأنه في هذه اللحظة يتلقي أوامره من جهة عليا هي العصب السمبتاوي الذي يسيطر عليه ويوجهه؛ فهو يعيش تلك اللحظة ككل البشر عندما يباغتون بشيء مخيف، لذا ولي مدبرا ولم يلتف خلفه مثلهم.

رد الفعل علي انفعال الخوف:

لقد جاء رد فعل موسى علي هذا الخوف والفزع سريعا فظهر في صورتين:

١ـ فعل لغوي: فلم ينطق بكلمة أو بصيحة ؛ فكان صمته أكبر تعبير عن فزعه، كما تقول العامة (وقع وما حطش منطق) فلم ينطق من شدة فزعه.

٢ـ فعل حركي: انطلق مسرعا بعيدا عن العصا لشدة فزعه منها فلم يلتفت.خلفه، .وتقول العامة أيضا (جري وما بصش وراه) من شدة خوفه.

ويشير د. عثمان نجاتي إلي رد الفعل علي الخوف قائلا" ويستجيب الإنسان عادة لمواقف الخطر التي تهدده وتثير فيه انفعال الخوف بالابتعاد عنها والهرب منها. وقد وصف القرآن استجابة الإنسان بالهرب من المواقف المهددة بالخطر والمثيرة للخوف..ووصف القرآن أيضا خوف موسي عليه السلام حينما رأي عصاه تنقلب إلي حية فولي هاربا[١]"

التحليل اللغوي للحدث:

جاء البناء اللغوي للعبارة في الآيتين متطابقا تماما، فأخبرت عن شدة خوف موسى **وهي (وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ)** ونحاول تحليلها هنا من جانبها اللغوي فقط لبيان كيف استطاعت اللغة أن تصور لنا انفعال الخوف الشديد عند موسى، فكان بناؤها اللغوي علي هذا النحو التالي:

أ ـ **التركيب:**

لقد صورت العبارة انفعال الخوف الشديد لديه بثلاث كلمات، هي:

١ـ الفعل " ولَّى " ٢ـ الحال " مدبرا " ٣ـ الفعل "لم يعقب "

نجد هنا فعلين بينهما حال؛ الفعل الأول صوَّر سلوكه بعد الفزع بأن جرى، ثم جاء الحال ليصف حال جريه بأنها حال فرار (مدبرا) وليست حال إقبال، ثم يأتي الفعل الثاني (لم يعقب) ليصف بصورة أدق ويوضح رد فعله علي انفعال الخوف كسلوك ناتج عن دافع هو شدة الفزع؛ وذلك بعدم التفاته خلفه، فانفعال الخوف الشديد منعه من مجرد النظر خلفه، فانطلق في طريق

(١) القرآن وعلم النفس، ٧٣ ــ٧٤.

اللاعودة، خوفا من أن تتبعه الحية، فلم نجد فاصلا بين الفعل ولي، والحال مدبرا؛ مما يدل علي سرعة الفعل ورد الفعل عليه؛ فظهور الحية فجأة أفزعته، فتلاه رد الفعل أن (ولي مدبرا ولم يلتفت خلفه).

ب ـ المفردات:

الفعل **"وليَّ "** عبر عن شدة خوفه، لهذا سنراه يتكرر في مواقف أخري تخص انفعال خوف وردت ذكرها في القرآن الكريم[1].

الاسم **"جان"** صوَّر سبب الفزع الذي انتابه؛ لأنها تهتز كأنها جان.

كلمة "يا موسي" طمأنتْ موسى؛ وقد جاءت واحدة بالموضعين من الآيتين، فقد نادى الحق سبحانه عليه ليعلمه أن بالمكان من يعرفه باسمه، لذا أقبل موسى مطمئنا ناحية الصوت، وهذا يوضح الأثر النفسي للنداء عليه.

ج ـ الصوت:

جاء النبر في الكلمات (ولَّى ـ مدبرا ـ لم يعقب) علي المقطع الأول (وَلْ / مُدْ/ لَمْ) لإثارة انتباه السامع تجاه الأحداث السريعة؛ كسلوك هو رد فعل سريع من موسى جاء في شكل أحداث متتالية في سرعة شديدة، صدرت منه في التو واللحظة بعفوية تامة؛ نتيجة لما يعيشه الآن في هذه اللحظة؛ فكانت بدايات الكلمات كلها من مقطع من نوع واحد هو (ص ح ص) فكوَّن ذلك إيقاعا واحدا. منتظما. متكررا مع بداية كل كلمة، مما أعطي إحساسا بسرعة صدور الأحداث متتالية منه.

"جان" جاءت من مقطع واحد (ص ح ح ص) لتنطق دفعة واحدة؛ فتصور لنا الفزع الذي يعيشه موسى مع تحول العصا عندما ينطق بها القارئ ويطيل الحركة الطويلة بين الصامتين؛ فنشعر كأنها تهتز فعلا أمامه الآن؛ ولهذا لم يقل الحق تبارك وتعالى كأنها شيطان أو عفريت لهذا السبب الصوتي. استطاعت اللغة تصوير انفعال الخوف الشديد ورد فعل موسى السريع عليه؛ كأَّننا نعايشه لحظة خوفه؛.فكانت هذه العبارة خير مصور لذلك الخوف .

٢ـ خوف موسى بعد قتله المصري:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي بالخروج من المكان.

---

(١) كما سنري في وصف خوف المنافقين (**مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**).

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [1] عندما قتل موسى المصري أصبح بالمدينة في حالة خوف و ترقب؛ فأصابته حالة من الخوف أشار إليها الحق في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ [القصص/ ١٨] لكنه عندما علم بأنهم يعدون العدة لقتله؛ خرج منها خائفا يترقب، فجاءت الآيتان بوصف واحد لشدة خوفه وهو ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ أي (خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) ذلك لأن الآيتين تصوران حالة انفعالية واحدة ذات صفات واحد (حالة خوف وترقب من تعقب شخص له ليقتله) فجمعت بين صفتين هما الخوف والترقب في حالتين مختلفتين ؛ حالته في المدينة بعد القتل، وحالته عند خروجه من المدينة. جاء تصوير الآيتين هنا لانفعال الخوف بطريقة مختلفة عن تصويرها لانفعال الخوف السابق (أي حالة تحول العصا إلي حية) فهنا تخطيط لقتله يتم في هدوء، يحتاج إلي رد فعل مماثل له، وهو التخطيط للهرب، يتم في سرية وهدوء أيضاً.

مع المفسرين:

قال القرطبي:

" قَدْ تَقَدَّمَ فِي [طه] وَغَيْرِهَا أَنَّ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه عَلَيْهِمْ يَخَافُونَ؛ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ غَيْر ذَلِكَ، وَأَنَّ الْخَوْف لَا يُنَافِي الْمَعْرِفَة بِاَللَّهِ وَلَا التَّوَكُّل عَلَيْهِ فَقِيلَ: أَصْبَحَ خَائِفًا مِنْ قَتْل النَّفْس أَنْ يُؤْخَذ بِهَا وَقِيلَ خَائِفًا مِنْ قَوْمه أَنْ يُسَلِّمُوهُ وَقِيلَ: خَائِفًا مِنْ اللَّه تَعَالَى وَ " أَصْبَحَ " يَحْتَمِل أَنْ يَكُون بِمَعْنَى صَارَ أَيْ لَمَّا قَتَلَ صَارَ خَائِفًا وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون دَخَلَ فِي الصَّبَاح، أَيْ فِي صَبَاح الْيَوْم الَّذِي يَلِي يَوْمه " وَخَائِفًا " مَنْصُوب عَلَى أَنَّهُ خَبَر " أَصْبَحَ "، وَإِنْ شِئْت عَلَى الْحَال، وَيَكُون الظَّرْف فِي مَوْضِع الْخَبَر، يَتَرَقَّب " قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر: يَتَلَفَّت مِنْ الْخَوْف وَقِيلَ: يَنْتَظِر الطَّلَب، وَيَنْتَظِر مَا يَتَحَدَّث بِهِ النَّاس وَقَالَ قَتَادَة: " يَتَرَقَّب" أَيْ يَتَرَقَّب الطَّلَب وَقِيلَ: خَرَجَ يَسْتَخْبِر الْخَبَر وَلَمْ يَكُنْ أَحَد عَلِمَ بِقَتْلِ الْقِبْطِيّ غَيْر الْإِسْرَائِيلِيّ... خَائِفًا يَتَرَقَّب" أَيْ يَنْتَظِر الطَّلَب"[2].

نفهم مما قاله القرطبي:

١ـ أن سبب خوفه أنه يتوقع أن يقتل، فهو خوف الحذر المترقب لطالبه.

---

(١) سورة القصص، ٢٨ / ٢١.

(٢) تفسير القرطبي، ج٧، ص٤٩٨٠ /٤٩٨٢.

٢ـ أثَّر الخوف من توقع أن يُقْتَل علي حالته العامة الذهنية والبدنية في:

أ ـ الذهنية: تظهر في التشتت وعدم التركيز، فهو هائم علي وجهه.

ب ـ البدنية: تظهر في عدم رؤيته للطريق الصحيح الذي سيسلكه.

التأثير النفسي والعصبي:

أثر انفعال الخوف الشديد علي العصب البارسمبتاوي لديه؛ فأرسل إشارات إلي أعضاء الجسم بالابتعاد عن منطقة الخطر (مصر كلها) بإذن من موسى الذي بدأ يفكر في الخروج في هدوء وتمهل وتخطيط، لذا فهو علي الرغم من أنه هائم علي وجهه مشتت؛ إلا أنه لازال يفكر ويتدبر أمره في الهروب في تخف شديد، فجاء التعبير عن الحالتين الانفعاليتن (حالته بعد قتل المصرى، وحالته بعد علمه بالتخطيط لقتله) بعبارة واحدة تصف بدقة حالة خوفه، فهي حالة خوف مع ترقب **(خائفا يترقب)**.

اللغة وتصوير انفعال الخوف:

جاء تصوير انفعال الخوف بطريقة واحدة في الآيتين ففي **الآية الأولى**:

صور انفعال الخوف بالفعل أصبح، ثم الحال خائفا، ثم الفعل يترقب:

١ـ الفعل أصبح أعطي ـ كما قال القرطبي ـ احتمالين: أي أصبح في اليوم التالي أو أصبح بمعني صار، وفي كلا الاحتمالين يكون حال موسى قد تغير من الطمأنينة إلي الخوف، وميزت (خائفا) نوع التحول الذي أصابه

٢ـ الفعل يترقب بيَّنَ الشق الثاني من الانفعال المصاحب للخوف وهو ترقب وتوقع القتل.

الآية الثانية : صورت اللغة الانفعال بالفعلين " خرج / يترقب " بينهما الحال "خائفا".

١ـ الفعل الأول "خرج" الذي جاء بعده الحال "خائفا" ليبين أنه خرج في فزع.، لكن مع هدوء في السير لتوقع الرقيب، وليس بالفعل ولىَّ أي جرى.

٢ـ الفعل "يترقب" أكمل صورة انفعال الخوف بتوقع الترقيب الآتي له.

٣ـ جاءت (منها) فاصلة بين الفعل خرج وصفته (خائفا) لتعطي معني التمهل في الحدث، عكس ما حدث بالفعل (ولي) الذي تلاه بلا فاصل خائفا.

٤ـ تعاون الفعلان والحال في تصوير حال الفزع التي تنتابه + حالة الترقب = النتيجة التي نفهمها من هذا التعاون (كرد فعل لحالة الخوف) ليست التي

رأيناها في حالة رؤيته العصا تتحول إلي حية، فولى مدبرا ولم يعقب، لماذا ؟ إن انفعاله هنا يبدو انفعالا هادئا، لأنه لم يأته بغتة كسابقه، بل جاء بعد أن قتل ثم ذهب عنه انفعال الغضب الذي جعله يقتل، فبدأ يفكر في هدوء؛ ماذا سيحدث له بعد فعلته هذه ؟ فجاءه الخوف كشعور وإحساس وليس انفعالا، فنتج عنه التفكير الهادئ مع توقع القتل، فأصابه انفعال الخوف من القتل، ففكر في مخرج مما هو فيه؛ وهو الهرب.من مصر كلها.

الفرق بين رد الفعل علي انفعال خوف كسلوك لموسى في الحالتين:

أ ـ حالة رؤية العصا التي في يده تتحول إلي حية:

كان رد فعل موسى كسلوك صدر منه عند تحول العصا إلي حية؛ أنه ولي مدبرا، ولم يعقب، إنه رد فعل سريع علي خطر مداهم ظهر فجأة في وجهه، هنا يقوم العصب السمبتاوي الذي لا يأخذ أوامره من الشخص بإبعاده عن منطقة الخطر المباغت؛ فكان رد فعله الجري السريع، دون النظر إلي الخلف، فرد الفعل هنا يخضع لعملية عقلية عصبية لا سلطان لموسى عليها، وصور ذلك الفعل الأول (وليَّ) لبيان رد فعله السريع علي هذا الحدث المفاجئ، وتلاه الفعل (لم يعقب) أي لم يلتفت خلفه لشدة خوفه؛ ليوضح ويؤكد شدة الفزع الذي اصطدم به عند رؤية.العصا، لهذا لا يريد أن يرجع ولو بالنظر لمنطقة الخطر.

كل هذا دون النطق بكلمة أو بصيحة استغاثة، لقد شلت أعضاء نطقه، ومنعت عن الكلام، لهول ما رأي.

ب ـ حالة الخوف بعد قتله المصري:

جاء وصف الخوف الذي أصابه بعد قتله للمصري في صورتين متماثلتين هما:

١ـ بعد القتل مباشرة: ذهب عن موسى انفعال الغضب الذي قتل بسببه؛ ليتملكه انفعال آخر، وهو إدراكه لخطورة ما فعل من قتل النفس، فاعتذر لخالقها وصانعها الله أولا، فطلب منه المغفرة فغفر له، لأنه أعترف بذنبه، وأسند فعله إلي الشيطان؛ وجاء انفعال الخوف هنا مصاحبا لحالة الترقب، فهناك خطر ما سيداهمه؛ ولكنه لا يدري من أين سيأتيه هذا الخطر،

فصاحب الخوف الترقب والتوقع للخطر، لهذا كان الخوف من نوع آخر ليس كالخوف الأول المفاجئ.

٢- الخروج من مصر: لازال انفعال الخوف السابق بكل خصائصه يسيطر عليه وهو انفعال الخوف مع الترقب للمجهول الذي سيقتله، فهو يتوقع قدومه في أي لحظة؛ إنه هارب من فرعون، لهذا خرج متخفيا ،يخشي الرقيب؛ فالانفعال هنا - كسابقه - يحتاج إلي حرص شديد، وتمهل في الحركة؛ فلا يكون سريعا، بل هادئا يسبقه إعداد وتخطيط دقيق، كما فعل بعد القتل مباشرة أصبح يترقب نتيجة الحادثة؛ فكان من علامات ذلك تمهله في لحظة الخروج وتوقع الرقيب؛ واللجوء إلي قوة أكبر للاستعانة بها هي الله سبحانه وتعالى؛ لهذا لجأ إليه عند خروجه داعيا إياه **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [القصص: ٢١]

لقد فرق التعبير القرآني بين انفعال الخوف في حالة تحول العصا إلي ثعبان، وانفعال الخوف بعد قتله المصري؛ وذلك باستخدام فعلين يعبران عن معني واحد هو الذهاب (خرج/ ولي)، فكان كل منهما دقيق في موضعه في التعبير عن اختلاف نوع الانفعال علي الرغم من أنه انفعال واحد، هو انفعال الخوف، لكن رد فعل موسى علي خوف في الموقفين جاء مختلفا؛ وذلك لاختلاف نوع الخوف في الموقفين الذي ظهر في رد الفعل فيهما.

النوع الثاني: خوف المؤمنين

نوع الانفعال: انفعال ظاهر دون حركة في المكان

ورد وصف حالة خوف وفزع المؤمنين؛ وما أصابهم من تغيرات في يوم الأحزاب في قوله تعالي**﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(١٠)﴾** [الأحزاب]

مع المفسرين:

قال القرطبي:

"**إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم: (إذ)** في موضع نصب بمعنى واذكر. وكذا، وإذ قالت طائفة منهم. قوله تعالى: **وإذ زاغت الأبصار:** أي شخصت، وقيل: مالت؛ فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول.

وبلغت القلوب الحناجر: أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم، وأحدها حنجرة؛ فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت؛ قاله قتادة. وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار كاد أي كادت تقطر. ويقال: إن الرئة تنفتح عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا؛ ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره. وقيل: إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة، قال معناه عكرمة. روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: بلغ فزعها. والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضرباته، أي كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة. والحنجرة والحنجور (بزيادة النون) حرف الحلق، **(وتظنون بالله الظنونا)** قال الحسن: ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون، وظن المؤمنون أنهم ينصرون. وقيل: هو خطاب للمنافقين؛ أي قلتم هلك محمد وأصحابه [1].

قال الرازي:

"وقوله **(إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم)**: بيان لشدة الأمر وغاية الخوف، وقيل: **(من فوقكم)** أي من جانب الشرق **(ومن أسفل منكم)** من جانب الغرب وهم أهل مكة **(وزاغت الأبصار)** أي مالت عن سننها فلم تلتفت إلى العدو لكثرته **(وبلغت القلوب الحناجر)** كناية عن غاية الشدة، وذلك لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة، وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس لا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]" [2].

نفهم من أقوال المفسرين:

١. عندما فزع المؤمنون حدثت لهم تغيرات بدنية داخلية وخارجية هي:

أ ـ زاغت الأبصار: أي أنها تري ولا تري من شدة الخوف والدهشة.

ب ـ بلغت القلوب الحناجر: إشارة إلي شدة نبضات القلب وسرعتها وارتفاع حركة القلب معها، فيشعر المرء أن قلبه ينخلع منه، وبلغ الحلقوم من انتفاضته.

---

(١) تفسير القرطبي، ج٨، ص٥٢٢٦.

(٢) التفسير الكبير، أو مفتاتيح الغيب، الرازي، المكتبة التوفيقية، القاهرة٢٠٠٣، المجلد١٣، ج٢٥، ص١٧٤.

٢ـ تحليلهم بتفصيل دقيق لما حدث من تغيرات جسدية ونفسية للمؤمنين دلَّ علي إدراكهم التام والواعي بتأثير الخوف عليهم، وهي تغيرات جسدية تُلْحظ بالعين.

٣ـ إشارتهم إلي أن ما حدث من تغيرات جسدية كان بسببها شدة خوفهم.

الانفعال المكاني:

لماذا سميت هذا الانفعال بالانفعال المكاني؟ لأن كل ما صدر من جنود مسلمين في هذه اللحظة نتيجة الخوف؛ جاء رد فعله في المكان الذي هم فيه؛ فلم يفروا من مكانهم، ولذا سميته انفعال مكاني، فبدا عليهم هذا الفزع كرد فعل، لكنهم لم يفروا من مكانهم، لماذا (كما حدث في لموسى من الحية)؟ لأن هذا الفزع:

١ـ لم يأت فجأة، فهم هنا في حالة حرب، لهذا هم يتوقعون حدوث ذلك؛ فذهب عنهم عنصر المفاجأة التي تدعوهم للهرب، بفعل العصب السمبتاوي.

٢ـ أن الهرب من ميدان القتال منهي عنه في الإسلام، فلن يفعلوه أبدا ولو قتلوا، وكذا المنافقون لن يفعلوه، مع فزعهم، لأنهم سيموت في الحالتين:

أ ـ فلو هربوا فسيفضحون في داخل مجتمعهم المسلم، ويقتلون.

ب ـ لكنهم لو ثبتوا ثم قُتلوا؛ فيعدون ضمن الشهداء، لذا فضلوا الثانية.

ولكن يبقي انفعال الخوف الشديد سيد الموقف علي الرغم من ثباتهم جميعا في الميدان ، ذلك لأن توقع الحرب وهجوم الأعداء من كل مكان، يختلف تماما عن رؤيته واقعا فوق أعناقهم ، هنا يكون الفزع والخوف أشد.

التحليل النفسي لانفعال الخوف:

في هذا الموقف الانفعالي ظهرت دقة التصوير القرآني للحدث في استخدام (إذ) التي توضح تسلسل الأحداث وسرعتها، وقيمة عنصر المفاجأة؛ فقوله تعالى: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) تلاها قوله (وإذ زاغت الأبصار) فقد جاء الفعل (جاءوكم) أولاً مسبوقاً بـ (إذ)، ثم جاء رد الفعل عليه في الفعل (زاغت) مسبوقاً بـ (إذ) أيضاً، أي عندما حدث الهجوم على المؤمنين من أعلى ومن أسفل كشيء مفاجئ مباغت لهم؛ أحدث فيهم خوفاً شديداً وفزعاً، فكان رد الفعل علي ذلك الخوف الذي نقله إلى عقولهم

العصب السمبتاوي؛ بأن فقدوا السيطرة علي حواسهم وأعضاء جسدهم، فهي الآن خاضعة لسيطرة العصب السمبتاوي، الذي جعلهم في ثورة عارمة، فلا تواصل بين البصر وأجهزة استقبال الرسائل البصرية في المخ، لهذا تشتت البصر؛ فهم لا يرون شيئاً لعدم وصول الإشارات البصرية إلى المخ، فالأبصار في حالة ذهول، كذلك القلوب التي بلغت الحناجر؛ فأسرعت تنبض بشدة دليلاً على الارتباك وعدم السيطرة عليها، حتى الفكر فقد وصلته آثار هذا الانفعال الشديد؛ فبدأ في إعادة النظر في عقيدته التي خرج للجهاد من أجلها، وهو الجهاد في سبيل الله، لقد بدأت هذه الثورة الانفعالية في الوصول إلى فكر وعقيدة المنافقين، فظهر هذا في قوله: تعالى عنهم **(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ)** أما المؤمنين فزلزلوا، لذا قال الله عنهم **﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾** [الأحزاب: ١١] هذا دليل على زعزعة الإيمان والاعتقاد في قلوب المنافقين، وقول الحق سبحانه (هنالك) أي في هذه اللحظة التي وقع فيها الهجوم؛ حدث هذا الخوف الشديد؛ فكان ابتلاءً علي المؤمنين، وإنه لشديد عليهم؛ فقد زلزلهم زلزالا شديدا، لقد أصاب الخوف والفزع الجيش كله، ولكنهم اختلفوا في رد فعلهم.

التحليل اللغوي للحدث:

جاء وصف الخوف الذي سيطر عليهم في جمل متنوعة صورته بدقة :

أولاً: جمل تصور الحركة: مثل جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، أي أنهم أُحِيط بهم، إذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنون.

ثانياً: جمل تصور الحيرة: في العقيدة والحيرة في الهرب من الخوف:إذ زاغت الأبصار/ وبلغت القلوب الحناجر/ وتظنون بالله الظنون .

ثالثاً: جمل قصيرة: زاغت الأبصار. بلغت القلوب الحناجر. تظنون بالله الظنون

فكان: لاجتماع هذه العناصر اللغوية أثر في بناء صورة متكاملة عن الفعل ورد الفعل وما يصاحبه من أحداث وآثار مادية ونفسية، **ذلك بتصوير سرعة الحدث** فكان استخدام (إذ) ثلاث مرات:

١- إشارة للمباغتة في الفعل ورد الفعل؛ في الجمل:

أ ـ (إذ جاءتكم جنود) بداية هجوم الأعداء، فقد جاء بغتة.

ب ـ (إذ جاءوكم) الإحاطة من كل مكان في هجوم مفاجئ أربك الجيش كله.

ج ـ (إذ زاغت الأبصار): تشتت الأنظار ونبضات القلب؛ فكانا رد فعل للحدثين.

د ـ التحليل اللغوي:جاءت إذ ثلاث مرات في هذا الموقف الانفعالي؛ فحملت في كل المواضع إشارة: ١ـ صوتية إلي سرعة الحدث، فجاءت مكونة من مقطع صوتي واحد (ص ح ص) ينطق دفعة واحدة، .فلا تصح هنا (إذا) ذات المقطعين.

٢ـ إشارة دلالية علي المباغتة في الفعل ورد الفعل؛ فأعطت معني الإحاطة .

النوع الثالث: خوف الكافرين

نوع الانفعال: انفعال ظاهر بالحركة في المكان

١ـ قال تعالى: **﴿كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)﴾** [الأنبياء]

مع المفسرين:

قال الرازي:

قوله تعالى: (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم، والركض ضرب الدابة بالرجل، ومنه قوله تعالى: **﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾** [ص: ٤٢] فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين[1].

قال القرطبي:

" « فلما أحسوا » أي رأوا عذابنا؛ يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش « أحسوا » خافوا وتوقعوا. « إذا هم منها يركضون » أي يهربون ويفرون.

(١) تفسير الرازي، المجلد ١١، ج٢٢، ص١٤١.

والركض العدو بشدة الوطء. والركض تحريك الرجل؛ ومنه قوله تعالى: « اركض برجلك » وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض."[1] .

نفهم من كلام الشيخين أن الظالمين عندما شعروا بالعذاب قادما إليهم، تحولوا إلي خيل ترقض وتجري بلا هوادة، من شدة خوفهم من أن يقع بهم.العذاب؛ فقول الرازي شبههم في سرعة جريهم علي أرجلهم بالراكبين الراكضين فجمع لهم بين صفة الإنسان والحيوان فالأول يركب والثاني يركض، وهو ليس مجرد إحساس بالخوف، بل هو علم حس ومشاهد فهم يركضون. لهذا السبب.

التحليل النفسي والعصبي للحدث:

عندما رأي القوم عذاب الله قادما إليهم؛ وأنه واقع بهم لا محالة، بدأ انفعال الخوف يعمل في قلوبهم وعقولهم لمجرد توقعهم العذاب؛ فحولهم إلي خيل تركض في أماكنها ولا تجري، فلا يجاوزون مكانهم من شدة الارتباك والفزع الذي هم فيه، فكان رد الفعل علي ذلك الخوف الشديد هو الجري كما في كل الحالات السابقة دون تفكير أو كلام أو مجرد صيحة تصدر منهم، أما في هذه المرة فالانفعال أشد والارتباك أعظم، فهم يجرون ولكن نظرا لشدة ارتباكهم يجرون في مكانهم، ومن شدة الخوف لا يدرون أهم راكبون كالبشر أم راكضون.كالخيل، لانقطاع الصلة بين المخ وأعضاء الجسم التي تتلقي أوامرها مباشرةً منه عن طريق العصب السمبتاوي دون إدراك أو إذن منهم، ودون سيطرتهم عليه.

التحليل اللغوي:

جاءت كلمتان تعبران عن الفعل ورد الفعل في الآية هما:

١- أحسوا: فعل إدراك الخوف وتوقعه، أي أنهم أحسوا وشاهدوا مقدمة العذاب.

(١) تفسير الطبري، المجلد السابع، ص٤٣١٥.

٣. يركضون: هو رد الفعل علي هذا الخوف من العذاب القادم كركض الخيل فصوره لهم بما تفهمه عقولهم، فأشد شيء في السرعة بذهنهم هو ركض الخيل.

النوع الرابع: خوف المنافقين وحيرتهم

نوع الانفعال: الانفعال ظاهر حركي بالهرب من المكان

قال تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[١].

مع المفسرين:

قال القرطبي:

لولوا إليه أي لرجعوا إليه، وهم يجمحون أي يسرعون، لا يرد وجوههم شيء، من جمح الفرس إذا لم يرده اللجام ... والمعنى: لو وجدوا شيئاً من هذه الأشياء المذكورة لولوا إليه مسرعين هرباً من المسلمين [٢].

قال الرازي:

قوله: (لو يجدون) ملجأ، الملجأ: المكان الذي يتحصن فيه، ومثله اللجأ مقصوراً مهموزاً، وأصله من لجأ إلى كذا يلجأ، لجأ بفتح اللام وسكون الجيم، ومثله التجأ وألجأته إلى كذا، أي: جعلته مضطرا إليه. وقوله: (أو مغارات)، هي جمع مغارة، وهي الموضع الذي يغور الإنسان فيه، أي يستتر. قال أبو عبيد: كل شيء جزت فيه فغبت فهو مغارة لك، ومنه غار الماء في الأرض وغارت العين وقوله: (مدخلا) معناه: المسلك الذي يستتر بالدخول فيه. قال الكلبي وابن زيد: نفقا كنفق اليربوع. والمعنى: أنهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه الثلاثة، مع أنها شر الأمكنة. (لولوا إليه) أي: رجعوا إليه. يقال: ولى بنفسه إذا انصرف، وولى غيره إذا صرفه. وقوله: (وهم يجمحون) أي: يسرعون إسراعاً لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا يقال: جمح الفرس، وهو فرس جموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، والمراد من الآية أنهم من شدة تأذيهم من الرسول ومن المسلمين صاروا بهذه الحالة واعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أشياء، وهي: الملجأ والمغارات والمدخل، والأقرب أن

---

(١) سورة التوبة، ٥٧/٩ .

(٢) تفسير القرطبي، ٥/ ٣٠٠٠٥.

يحمل كل واحد منها على غير ما يحمل الآخر عليه، فالملجأ: يحتمل الحصون، والمغارات: الكهوف في الجبال، والمدخل: السرب تحت الأرض، نحو الآبار[1].

نفهم من قول المفسرين:

١. فعلهم هذا كان بسب تأذيهم من الرسول وهربا من المسلمين ومواجهتهم .

٢. هذه أسوء الأماكن علي الأرض، ولكنهم قبلوا الذهاب إليها لشدة خوفهم.

٣. يجمحون: ربط بين سرعة الخيل الجامحة وبين سرعة القوم في حالة فزعهم .

التحليل النفسي واللغوي:

تشير الآية إلى سلوك القوم كرد فعل لخوفهم بأنهم يجرون في سرعة كسرعة الخيل الجامح الآبق من صاحبه، فهو جامح أي لا يرده لجام، والجديد في التعبير عن شدة الخوف هنا أنه أخذه من سرعة الخيل، علي عكس ما كنا، نراه سابقا من التعبير عن الخوف بالجري السريع بالفعل (ولَّى) فقط لماذا ؟ لأن فزع المنافقين أشد، فباطنهم (الكفر) يناقض ظاهرهم (الإيمان) لذا كان انفعالهم وفزعهم بسبب الخوف أشد من فزع الكافرين، فهم يفرون كالفرس الجامح الذي لا يرده لجام، كما قال القرطبي، فهم يعانون من اضطراب داخلي، فينطلق الفزع والخوف من داخلهم.

الفضاء الذهني:

كان استخدام كلمة (يجمحون) مناسبا لعقول القوم؛ فهم لم يروا في عصرهم أشد سرعة من الفرس إذا خاف فجمح، وهنا استخدم أدوات البيئة؛ فيظهر أثر الفضاء الذهني الخاص بهم؛ الذي يحوي كل الأشياء الخاصة ببيئتهم البدوية، فظهر الفرس كأبرز موجودات هذا العالم البدوي بفضائه الذهني، وقد سبق ظهوره من قبل في انفعال خوف آخر في كلمة يركضون للفرس السريع أيضا.

الفزع: نجد في هذه الآية وسائل كثيرة تصور هلع وفزع المنافقين منها :

---

(١) تفسير الرازي، المجلد ٨، ج ١٦، ص٨٤ .

أولاً: تصوير حيرتهم في البحث عن مكان يختبئون فيه، ملجأ أو مغارة أو مدخل.
ثانياً: اتجاههم إلى هذا الملجأ في سرعة كبيرة فهم لا يولون بل هم يجمحون.

النوع الخامس: خوف لدى عامة الناس

١ـ خوف الناس عند رؤية أهل الكهف:

نوع الانفعال: الانفعال ظاهر حركي بالهروب من المكان

هناك صورة أخري للخوف الشديد؛ وذلك عند رؤية شيء مفزع فجأة ـ كما حدث لموسى عند رؤية العصا تتحول إلي حية تسعي ـ وهو تصوير الحق تبارك وتعالى لانفعال الخوف الشديد الذي ينتاب أي إنسان لو نظر إلي أهل الكهف؛ وهم أحياء ولكنهم ناموا (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)، يقول الحق: ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ [١]

إن مجرد النظر إليهم لأول وهلة، أي فجأة سيؤدي بك هذا المشهد المفزع المفاجئ إلي الآتي:

١ـ الهرب: عبر عنه بالفعل: وليت + التمييز: فراراً.
٢ـ الرعب: عبر عنه بالفعل: ملئت + التمييز: رعباً.

مع المفسرين:

الرازي:

قال الرازي: (لو اطلعت عليهم) أي أشرفت عليهم، يقال: اطلعت عليهم أي أشرفت عليهم، ويقال: أطلعت فلانا على الشيء فاطلع، وقوله: لوليت منهم فرارا، قال الزجاج قوله: فراراً منصوب على المصدر؛ لأن معنى وليت منهم فررت، ولملئت منهم رعبا، أي فزعا وخوفا، قيل في التفسير: طالت شعورهم وأظفارهم وبقيت أعينهم مفتوحة وهم نيام، فلهذا السبب لو رآهم الرائي لهرب منهم مرعوبا، وقيل: إنه تعالى جعلهم بحيث كل من رآهم فزع فزعا شديدا، فأما تفصيل سبب الرعب فالله أعلم به[٢].

نفهم من قول الرازي:

١ـ سبب أن الله ألقى الرعب في قلوب من ينظرون إليهم: كي لا يصل إليهم ولا يلمسهم إنسان فيوقظهم؛ حتى يأتي الأجل الذي أجله الله لهم ليظهروا؛ فيحتج فيه.

---

(١) سورة الكهف، ١٨ / ١٨ .
(٢) التفسير الكبير للرازي، المجلد ١١، ج ٢١، ص ٩٤.

٢. سبب الفزع منهم: هو هيئتهم من حيث: طول الشعر والأظافر وتفتح العينين.
٣. حالة الرعب عند رؤيتهم تصيب كل البشر وذلك القول بعموم الحطاب.
٤. سبب الخوف:

أ. علي ما جرت عليه العادة والطبيعة البشرية.من الخوف.

ب. عنصر المفاجأة وعدم العلم مسبقا.بأمرهم مما سبب فزعه.

التفسير النفسي العصبي:

ذكر الحق شرط حدوث الخوف والفزع لرؤيتهم هو عنصر المفاجأة، بدأ العبارة بالشرط؛ فشرط الفزع هو رؤيتهم فجأة، فينتج عن ذلك، أن يقوم العصب السمبتاوي كرد فعل للخطر الداهم غير المعروف وغير المتوقع؛ بأن يبلغ - فهو الحارس الأمين - المخ بذلك الخطر؛ فيعطي المخ أوامره إلي أعضاء الجسم بالهروب بعيدا عن المكان؛ دون أمر منك فانطلق جسدك منفذا ذلك الأمر دافعا بك بعيدا عن مكان الخوف، فهذا هو التفسير النفسي العصبي للحدث كما حدث لموسى من قبل.

عناصر لغوية صورت انفعال الخوف:

فقد صُوِّرَ هذا الفزع والرعب بأشياء كثيرة منها:

أ - الفعل "اطلعت" فمجرد الاطلاع عليهم يحدث لك كل هذا الخوف

ب - رد الفعل السريع علي عملية الاطلاع فقط صورته جملتان بفعلين وتمييزين:

الفعل الأول "وليت "، وتمييزه " فرارا ".ميز نوع الجري بأنه هرب.

والفعل الثاني"ملئت"، وتمييزه "رعباً". ميز نوع الامتلاء بأنه رعب.

٢- خوف الناس في يوم القيامة:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي وغير حركي

قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾.**

مع المفسرين:

قال القرطبي:

قوله تعالى: (يوم ترونها) الهاء في ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة؛ ويقوي هذا (تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها)

والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا. وقالت فرقة: الزلزلة في يوم القيامة؛ ... وقيل: تنسى. وقيل: تلهو؛ وقيل: تسلو؛ والمعنى متقارب. عما أرضعت.... ويحتمل أن تكون الزلزلة في الآية عبارة عن أهوال يوم القيامة؛... أي هي إذا وقعت شيء عظيم. وكأنه لم يطلق الاسم الآن، بل المعنى أنها إذا كانت فهي إذا شيء عظيم، ولذلك تذهل المراضع وتسكر الناس؛ كما قال: وترى الناس سكارى أي من هولها ومما يدركهم من الخوف والفزع، وما هم بسكارى (من الخمر) [1].

قال الرازي:

أ ـ أما قوله تعالى: (يوم ترونها...) والضمير في ترونها يحتمل أن يرجع إلى الزلزلة وأن يرجع إلى الساعة لتقدم ذكرهما، والأقرب رجوعه إلى الزلزلة؛ لأن مشاهدتها هي التي توجب الخوف الشديد. واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر من أهوال ذلك اليوم أموراً ثلاثة:

أحدها: قوله: (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تذهلها الزلزلة، والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة، فإن قيل: لم قال مرضعة دون مرضع ؟ قلت: المرضعة هي التي في حال الإرضاع وهي ملقمة ثديها الصبي، والمرضع شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة، وقوله: (عما أرضعت) أي عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته، وهو الطفل فتكون ما بمعنى من على هذا التأويل.

و**ثانيها**: قوله: (وتضع كل ذات حمل حملها) والمعنى أنها تسقط ولدها لتمام أو لغير تمام من هول ذلك اليوم، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة إنما تكون قبل البعث، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، وقال القفال: يحتمل أن يقال: من ماتت حاملاً أو مرضعة تبعث حاملاً أو مرضعة تضع حملها من الفزع، ويحتمل أن يكون المراد من ذهول المرضعة ووضع الحمل على جهة المثل كما قد تأول قوله: (يوما يجعل الولدان شيبا).

---

(١) تفسير القرطبي، المجلد السابع، ص٤٣٩٦.

وثالثها: قوله: (وترى الناس سكارى) وفيه مسائل: ... المسألة الأولى: المعنى (وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق)، ولكن ما أرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم، وقال ابن عباس والحسن: وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب، فإن قلت: لم قيل أولا ترون، ثم قيل: ترى على الإفراد؟ قلنا: لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعا رائين لها، وهي معلقة آخراً بكون الناس على حال من السكر، فلا بد وأن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم، المسألة الثانية: إن قيل: أتقولون إن شدة ذلك اليوم تحصل لكل أحد أو لأهل النار خاصة ؟ قلنا: قال قوم: إن الفزع الأكبر وغيره يختص بأهل النار، وإن أهل الجنة يحشرون وهم آمنون. وقيل: بل يحصل للكل؛ لأنه سبحانه لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، وليس لأحد عليه حق[1].

نفهم من قول المفسرين:

الخوف الذي سيطر علي الناس في هذا اليوم أحدث تغيرات كثيرة منها:

١. تترك كل مرضعة حالة كونها ترضع رضيعها من هول ذلك اليوم.

٢. تضع كل ذات حمل ما في بطنها من جنين .

٣. تعم حالة الذهول علي الناس كأنهم في حالة سكر وفقدان للوعي.

التحليل النفسي لحادثة الخوف الشديد:

في هذا اليوم العصيب بدأ الحديث عن زلزلة الساعة كمصدر للخوف والفزع، فقد أصيب الناس في هذا اليوم بزلزلة شديدة وتملكهم الخوف والرعب، فكان لذلك الحدث آثاره علي الناس؛ فذكر القرآن أصنافا من البشر تأثروا بهول الساعة ، دون غيرهم من البشر، وكان لاختيارهم بالتحديد حكمة يعلمها الله، أظن أن منها :

١ ـ **المرأة المرضع**: هي المرأة التي تُرْضع بالفعل، ذلك لأنها تشعر وتحس في هذه اللحظة بحركة الوليد الذي يرضع منها؛ فلا تُذْهل عنه، لكنها الآن ذهلت لأن هول هذا اليوم أفقدها الشعور بأعضاء جسمها وحواسها التي تحس

(١) تفسير الرازي، المجلد ١٢، ج٢٣، ص٥.

وتدرك بها الأشياء، فقد فصل العصب السمبتاوي بينها وبين أعضاء جسدها بأمر صادر من مخها؛ فقد أدي انفعال الخوف الشديد إلي إثارة هذا العصب؛ ففقدت الشعور والإدراك لما حولها، فهي في حالة ذهول؛.تري ولا تري.فنتج عن ذلك عدم سيطرتها علي حواسها الخارجية؛ من بصر لا يرى الطفل الذي ترضعه، وحواس لا تشعر بها، فلا تشعر بالثدي الذي تُرْضع منه، ولا الطفل الذي تحمله، .وكما قال الرازي " والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ،... فقيل : مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة"[1]

٢. **المرأة الحامل** : المرأة التي تحمل في بطنها جنينا، فهي حريصة علي ألا يسقط منها، لكنه يسقط منها الآن، وهي لا تشعر بذلك، لأنها فقدت الإحساس بأحشائها الداخلية، فلا تشعر بآلام المخاض، لما هي فيه من فزع وهول أشد من آلام المخاض، لأنه لا توجد صلة بين عقل وأحشاء المرأة لتعطيها الإحساس بالألم الذي يصدر إليها من المخ، فهذه الصلة منقطعة لشدة الخوف.

٣. **الناس سكارى**: ثم نظر إلي حالة الخوف العامة التي تعم كل الناس، وهي حالة الفزع والدهشة التي جعلتهم كالسكارى، فهنا حالة سكر تعم الناس كلهم؛ وقوله تعالي (وما هم بسكارى) إشارة إلي استمرار وجود عنصر الإدراك لديهم وإن كان بنسبة أقل؛ فهم يدركون ما يحدث حولهم من الهول والزلزلة، فلا يغيبون عن الأحداث التي تحيط بهم ـ كما يحدث للسكران ـ بل يشاركون فيها بإحساسهم ومداركهم، فيصل الخوف إلي أمخاخهم، ويظل مسيطرا عليهم، وليعرفوا مصدر هذا الخوف، ويشعروا بأثره عليهم.

لقد كان اختيار الحق تبارك وتعالي لهذه الأصناف الثلاثة من البشر دقيقا؛ فهم قد صوروا هذا الفزع، علي الرغم من انشغالهم بأمورهم الضرورية، ولكن ما جاءهم أكبر وأشد مما هم فيه، وقد انتقل في تلك

---

١) تفسير الرازي: :المجلد ١٢/ ج٢٣ ص٥

الحالات التي اختارها من الخاص إلي العام، فانتقل من حالة البلاء الخاصة بالمرأة المرضع والمرأة الحامل، إلي حالة البلاء العام التي تعم كل البشر؛ فجعلتهم كالسكارى.

التحليل اللغوي للحدث:

صورت اللغة حالة انفعال الخوف المسيطرة علي الناس بوسائلها مثل:

١ـ الفعل تذهل خير تعبر عن الذهول الذي أصاب المرأة المرضعة.

٢ـ اختار (مرضعة) لأنها لا تضل عمن ترضعه الآن؛ لأنه بين يديها.

٣ـ وكلمة (كل ذات حمل) أفادت عموم البلاء وشموله لكلهن.

٤ـ كلمة (سكارى) عبرت عن حالة غياب الوعي التي عمت الناس كلهم

٥ـ (وما هم بسكارى) نفي لما سبق من وصف لهم، بلا تعارض، لكنها دقة في الوصف، فليسوا سكارى بذهاب عقولهم، لكنهم في دهشة مع إدراكهم ما حولها.

٣ ـ حالة الخوف والفزع في يوم القيامة:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر بالقول دون الحركة

صورت هذه العبارة شدة الخوف لدى الإنسان يوم القيامة عندما يصيح مستغيثا قائلا: أين المفر **﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾** [(١)] فهي جملة قصيرة ينطق بها الإنسان من شدة فزعه وهلعه، جاءت في صيغة سؤال لا جواب له، يقولها الإنسان الحائر الواقع في ضيق، لا يعرف أين يذهب، فحملت كل معاني الهلع، وأشارت إلي السلوك المعتاد الذي يسلكه الإنسان حالة خوفه الشديد؛ أنه يهرب ويجري بعيدا عن مصدر الخوف والفزع، لكن ما جاء بهذه الآية تصوير لحالة الخوف والهلع مع إضافة عنصر جديد من الانفعال؛ هو الحيرة في البحث عن مخرج أو مهرب من هذا الخوف، فهو لا يجد طريقا يسكه، فهول في ضيق شديد، ولا يجد مهربا منه، تلك الطامة الكبرى؛ فزع وهلع ولا مخرج ولا طريق يسلكه ليفر إليه، فينادي علي القوم أين السبيل يا قوم للهرب؟ ولا مجيب، لهذا يعد انفعالا مكانيا؛ لأنه عبر عن خوفه الشديد وحيرته وهو واقف في مكانه لم يفارقه.

---

(١) سورة القيامة، ٧٥ / ١٠ .

الصورة الثانية للخوف: (آيات تخبر عن الخوف فقط)

توجد بالقرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلي حالات خوف متنوعة كالخوف: (من الله، من الموت، من الناس) لكن الآيات التي جاء فيها ذكر هذا الخوف؛ لم تصور لنا هذه الحالات بالتفصيل كما رأينا آنفا من خلال ردود أفعال أصحابها كسلوك يسلكونه، ولكن ما ورد من ذلك في النص القرآني هو مجرد إشارة إلى وجود حالة الخوف فقط، لذا رأيت أن أشير إليها فقط .كما وردت دون تحليلها نحو:

قال تعالى: **﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** [الزمر: ١٣]

قال تعالي: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

قال تعالي: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠]

هذه الآيات تشير إلي حالات خوف فقط دون وصف أو تصوير لحالة المنفعل بسبب هذا الخوف ، فهي تأتي ضمن عملية الإخبار عن الخوف .